مجلة

روابط

دورية علمية دولية محكمة متخصصة في اللغة
والنقد الأدبي

المجلد الأول

ممارسات حجاجية

تحرير
د. ربيعة برباق

تقديم
أ.د أبو بكر العزاوي

العددان الأول والثاني
ISSN: 2602-7615

حقوق النشر محفوظة

مجلة روابط

دورية علمية فصلية دولية محكمة

متخصصة في اللغة والنقد الأدبي

رئيس التحرير:

الدكتورة ربيعة برباق

جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.

الترقيم الدولي المعياري: ISSN: 2602-7615

العددان: الأول والثاني

السنة: 2018م

المقر: تبسة –الجزائر

البريد الإلكتروني:

rawabet.rawabet@gmail.com

الناشر:

مؤسسة المثقف للنشر والتوزيع،

باتنة، الجزائر

ردمك: 978-9947-79-127-1

السداسي الثاني 2018م

الهاتف: 033 85 65 75

أو 06 75 49 73 86

البريد الإلكتروني:

Elmouthakaf2@gmail.com

هيئة التحرير

رئيس التحرير:

الدكتورة ربيعة برباق ،جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.

أعضاء هيئة التحرير:

1. د. عبد القادر خليف، جامعة العربي التبسي –تبسة-الجزائر
2. د عبد الخالق بوراس، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.
3. د. سعادة لعلى، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر
4. د. فطومة لحمادي، جامعة العربي التبسي –تبسة-الجزائر
5. د. عادل بوديار، جامعة العربي التبسي –تبسة-الجزائر
6. حاج موساوي، جامعة العربي التبسي –تبسة-الجزائر
7. أحمد سعود، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.
8. عبد الله شنيني، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.
9. أ عثمان ملاوي، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر
10. عنتر رمضاني، جامعة غرداية، الجزائر.

الهيئة العلمية

1. أ.د أبوبكر العزاوي، جامعة السلطان المولى سليمان، المغرب.
2. أ.د سعد عبد العزيز مصلوح، جامعة الكويت، دولة الكويت.
3. أ.د محمد محمد يونس علي، مدير البحوث والدراسات بالمنظمة العالمية للنهوض باللغة العربية، الدوحة، قطر.
4. أ د. العيد جلولي، جامعة قاصدي مرباح، ورقة، الجزائر.
5. أ د. عبد اللطيف، محفوظ، جامعة بنمسيك، الدار البيضاء، المغرب.
6. أ.د سعيد بوطاجين، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم. الجزائر.
7. أد. حيدر غضبان، جامعة بابل، العراق.
8. أد. رشيد رايس جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.
9. أ.د. سعد الدين المصطفى، جامعة المدينة المنورة، العربية السعودية.
10. أ.د. عبد السلام ضيف، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

فهرس المحتويات

تقديم	أ.د.أبوبكر العزاوي، المغرب	9
كلمة رئيس التحرير	د.ربيعة برياق، الجزائر	11
بحوث العدد الأول:		
محور العدد: ممارسات حجاجية		
الحجاج والبرهان	أ.د.أبوبكر العزاوي، المغرب	16
الممكنات البلاغية للغاية الإقناعية في القرآنالكريم (آيات الإنفاق في سورة البقرة نموذجا)	د. أيمن أبومصطفى، العربية السعودية	32
الحجاج التقويمي في شعر الصعاليك	أ.د.ضياء غني العبودي، العراق	51
حجاجية التكرار وأثره في تشييد المعنى - نماذج من الشعر العربي القديم-	د. جمعة مصاص، الجزائر د. نعيمة شلغوم، الجزائر	68
آليات بناء الحجاج: بين اللغة والذهن	أ.د. عبد الكبير الحسني، المغرب	76
محور المشاركات الحرة		
التداولية المعرفية، ف بوسكو	تر: أ. الحاج موساوي، الجزائر	89
كتاب "قل ولا تقل" لمصطفى جواد بين الوصفية والمعيارية	أ م د. مرتضى عبد النبي، العراق م.د وسام جمعة المالكي، العراق	103
بحوث العدد الثاني:		
محور العدد: ممارسات حجاجية		
التعالق اللساني بين الخطاب والحجاج	أ.د.رشيد حليم، الجزائر	119
تحليل الخطاب السياسي حجاجيا/بلاغيا	أ.عبد الوهاب صديقي، المغرب	129
الآليات اللغوية الحجاجية في الاحاديث القدسية	د.علية بيبية، الجزائر	152
حجاجية الأفعال الكلامية في الأمثلة البلاغية الشعرية-المطول للتفتازاني اختيارا	أ. عيسى حميش، الجزائر	168
محور المشاركات الحرة		
الأصناف الصوائية في نظرية هندسة السمات	أ. محمد أسرار، المغرب	191
بلاغة البنى العاملية في رواية مذنبون لون دمهم في	د.عبد الخالق بوراس، الجزائر	204

كفي للحبيب السايح	أ.أونيس كمال، الجزائر	
عشر مسائل في اللغة	د. محمود رجاء نوافلة، العربية السعودية	225
فهرس المحتويات		244

آليات بناء الحجاج: من اللغة إلى الذهن

د.عبد الكبير الحسني
جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال
المغرب

ملخص

حاولنا في هذا المقال أن نطرح مجموعة من الأسئلة حول الحجاج (Argumentation)، محاولين أن نزعج النظرية اللغوية من خلال فتح أفق جديد لدراسة الحجاج عبر نقل مستويات الدراسة من اللغة إلى الذهن، مفترضين أن الحجاج هوهندسة لغوية وبناء ذهني قبل أن يكون تحققا لغويا، وقد استندنا في الدفاع عن ذلك على مجموعة من الأفكار الواردة عند "أبي بكر العزاوي" باعتباره واحدا من رواد الحجاج في العالم العربي، كما استفدنا من الدراسات التي أنجزت في إطار اللسانيات المعرفية خصوصا ما كتبه "لانفاكير" و"إيفانس" و"جاكندوف"، وقد اتخذ البحث منهجا محكما تمحور حول المسار الذي نقلنا من خلاله الحجاج من اللغة إلى الذهن. أعتبارا أن اللغة لا تمثل إلا واحدا من المكونات التي تحقق التواصل، لأن ما ننجزه ذهنيا لا يتوازى مع ما ننجزه لغويا، بمعنى أننا نتواصل بعجز ولا نتواصل بقوة، إذا كان هذا الافتراض صحيحا فإننا سنجد فيما نتواصل به مجموعة من الدوافع التي نعمل على بلورتها أوتوظيفها بما يتلاءم وعملياتنا الذهنية؛ بمعنى أننا نحاجج بما نملكه من قواعد دفاعية هجومية ونحن نوظف اللغة، وبالتالي يكون الحجاجفي نظرنا عمليات ذهنية قبل أن تكون عمليات لغوية.

الكلمات المفاتيح: الدلالة المعرفية؛ الحجاج؛ اللغة، الذهن، الإدراك، الهندسة اللغوية.

Summary

In this article, we tried to ask a set of questions about the Argumentation, trying to solve the linguistic theory by opening a new horizon for the study of the Argumentation through the transfer of the levels of study from the language to the mind, assuming that the Argumentation is mental building before it is linguistic realization , And we have relied on the defense of this set of ideas contained in "Abou Bakr al-Azzaoui" as one of the pioneers of Argumentation in the Arab world, and we have benefited from the studies carried out in the cognitive linguistics, especially

knowledge of " Langacker";"Evans" and " Jackendoff ". The research has taken a rigorous approach that has focused on the path which the Argumentation have moved from language to mind. Since language is only one of the components that communicate , because what we accomplish mentally is not parallel to what we accomplish linguistically, in the sense that we communicate helplessly and do not communicate strongly, if this assumption is true, we will find while communicating a set of motives that we are working on crystallization Or employ them in accordance with our mental processes; in the sense that we argue with the rules of defense offensive and we employ language, and therefore the Argumentation in our mental processes before they are linguistic processes.

Keywords: Cognitive Semantic ; Argumentation; Language, Mind, Perception; Architect Of Language.

تقديم

إذا كانت حياتنا اللغوية لا تستقيم إلا بدواع تواصلية، فإن اللغة لا تمثل من هذه المنظومة إلا واحدا من المكونات التي تحقق ذلك، اعتبارا أن ما نحققه تفكيريا لا يتوازى مع ما ننجزه لغويا، بمعنى أننا نتواصل بعجز ولا نتواصل بقوة، إذا كان هذا الافتراض صحيحا فإننا سنجد فيما نتواصل به مجموعة من الدوافع التي نعمل على بلورتها أوتوظيفها بما يتلاءم وعملياتنا الذهنية؛ بمعنى أننا نحاجج بما نملكه من قواعد دفاعية هجومية ونحن نوظف اللغة، وبالتالي يكون الحجاج (Argumentation)في نظرنا عمليات ذهنية قبل أن تكون عمليات لغوية.

تنخرط الدراسة التي نبتغيها للحجاج في إطار الدفاع عن افتراض أننا عندما نصل إلى استعمالاتنا اللغوية، فإننا ننطلق في ذلك من بناء ذهني تنسجم هياكله مع الهندسة المعرفية للغة، بمعنى أن أيّ عملية حجاجية هي في الأصل عملية ذهنية، وعليه فإن حياتنا اللغوية هي في الأصل عمليات تستهدف إقناع الآخر بأي طريقة أووسيلة، ولكي يكون الإقناع ناجحا لا بد من برمجة لغوية تستهدف ما نفكر فيه وتستهدف ما نطمح قوله؛ بمعنى أن عمليات التفكير حجاجيا هي عمليات ذهنية معرفية.

1- في مفهوم الحجاج معرفيا

من أبرز السّمات التي تحدد بواعث الحجاج معرفيا هوالاعتقاد أن ما يدفع نحوبلورته هوالاختلاف البنيوي بين أطروحتين أساسين هما: التمثيل للغة وتصورنا لها وفق ما نمتلكه من إدراك للموضوعات، فالحجاج من حيث التمثل اللغوي هومحاولة فهم القصدالحجاجي الذي لا يمكن أن يبنى إلا في طابعها التصوري، فنحن مهوسون بالدفاع عن مواقفنا وأرائنا، مهوسون دوما بإقناع الآخر، لكن أن نقنع يعني أن نملك من المعارف ما يكفي لكي نكون كذلك، إلا أن الحجاج في هذا المستوى لا يقف عند حدود اللغة من خلال مظهرها الخارجي الذي هوالتواصل، بل إن ذلك يتجاوز هذا الحد لنصل به إلى الذهن، ونحن نعتقد أن أي عملية حجاجية هي في الأصل عملية ذهنية. ونحن إذ نقول ذلك لا يعني أننا نقترح نظرية بديلة أواتجاها جديدا، بل الأمر يتعلق بتساؤلات مشروعة نحاول من خلالها أن ننبه إلى أن الوقوف على اللغة غير كاف لرصد سلوك الحجاج، مستفدين في ذلك من المقاربات التي قدمت في إطار اللسانيات المعرفية.

يجد كثير من اللسانيين صعوبة للخوض في هذه المسألة لسبب بسيط كونهم لا يرون في الحجاج إلا صورة اللغة تحققا، بمعنى أن منطلق الحجاج عندهم لغوي صرف، وهذا كفيل بأن يجعل مقاربتهم له مقاربة قاصرة جدا، ولا يمكن أن تكون كافية لرصده بالصورة التي ينبغي أن يكون عليها الوضع ؛ لأن التصور الذي من الممكن أن يكون صائبا هوالدفع بالحجاج نحوالذهن والبرمجة اللغوية تمثلا وتصورا وإدراكا. وهذا يعني أن الحجاج لا يمكن أن يستمد قوته إلا من خلال حجم التخطيط اللغوي الذي ينطلق من الفكر نحوالإدراك عبر الوعي، فكلّ قصد لغوية هوفي الأصل تخطيط ذهني يبنى وفق آليات وشروط يفرضها المتكلم والمخاطب والسياق.

أن الحديث عن بناء الحجاج معرفيا هوحديث عن ما نسميه بإدراك القصدية، والقصدية هي مشروع معرفي لا يمكن أن يبنى إلا على طبيعة التصورات التي يقدمها لنا المحيط، فكلما كان الحافز التصوري أكبر، كلما انخفضت وتيرة الحافز تمثلا وفهما؛ بمعنى أن بناء الأفكار والقضايا التي ستعرض كحجج لا يمكن أن تنسج إلا عبر خارطة طريق تنطلق من الإدراك نحوالتمثل ثم اللغة، وهذا كفيل بأن يدفع بالقول إن مسار بناء الحجاج هومسار ينطق من الذهن نحواللغة وليس العكس.

إن التداعيات التي يملكها الذهن في عملية إنتاج اللغة تجعل من التواصل الحجاجي تواصلا معرفيا يجب فكّ شفرته، بل إنه تواصل بالغ الحساسية بالنسبة للسياق، فانتقاء حيّز حجاجي دون آخر يتم فقط من أجل نقل المعنى، لكنه يجعل من القارئ (المتلقي / المخاطب) مؤولا

نموذجيا، لهذا السبب فإن دراسة الحجاج يجب أن تنحى هذا المنحى الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون تحققا لغويا فقط، بل يجب أن ننقل معركة دراسة الحجاج من مختبر اللغة إلى مختبر الذهن، وهذا كفيل بأن يعطينا فرصة جيّدة للبحث عن حدود التمايز بين الحجاج اللغوي والحجاج المعرفي، ممّا يعطي الانطباع أن تأويل الخطاب تتحكم فيه المعطيات التي لها صلة بالتجربة، إذ تظهر القصدية من خلال توظيف مجموعة من التداعيات التي ترافق العناصر اللغوية في ذهن مستعمل اللغة، وهي التداعيات الراسخة التي تجعل التواصل تواصلا واعيا شديد الحساسية في السياق[1].

من الطبيعي أن تستعمل كل "عشيرة لغوية" أبعادا خاصة في عمليات تواصلها، ومن الطبيعي أيضا أن ينعكس الأمر على التوظيف المنهجي لحججها؛ بمعنى أن كل سياق تخاطبي هوفي الأصل انعكاس لوعي جمعي تتداخل فيه الثقافة بالتجربة، مما يتيح مساحة معرفية هامة للذهن لكي لا يخلط في تصميم الإنتاج اللغوي بين دخل ثقافي وخرج إدراكي؛ لأن كلّ ثقافة من الثقافات العالمية تسيطر على نسقها الحجاجي بطريقتها الخاصة جدا، وهذا يؤكد أن عملية الإقناع ستعرف هي الأخرى عرقلة تواصلية كلّما ابتعدت عن المحيط الذي تُنتج داخله بالنظر إلى المعايير الثقافية التي نستنبطها من خلال السياقات:

1- أ-الوقت الذي قضيته أثلج صدري.

ب -le tempe que j'ai passé m' a réchauffer le cœur.

كيف لي أن أحاجج رجلا يعيش في بيئة تطبعها الثلوج والأمطار والبرد القارس، وأن هذا المحيط يحتاج دائما إلى تدفئة مستمرة حفاظا على التوازن والاستمرار في الحياة، وأن هذا المجتمع يصرف أمولا طائلة من أجل توفير الغاز الطبيعي للتدفئة، فإنه منطقي سينتج عبارات لغوية نستوحي من خلالها كل ما يمكن أن يساهم في تدفئة جسده حتى لغويا، وهي مقتضيات تجعل من البنية (1ب) بنية حجاجية يقوم تأويلها اللغوي على طبيعة المحيط.

أما إذا كان الأمر يتعلق ببيئة ومحيط صحراوي يعيش تحت وطأة ارتفاع دائم في درجات الحرارة، ويصرف على نفسه مبالغ طائلة لكي يكيف جوه ومناخه ومحيطه حتى لا تهلكه درجات الحرارة المرتفعة، فإنه منطقيا يستنتج عبارات من قبيل (1أ) لأنه في حاجة ماسة إلى إثلاج صدره حتى بحيز أوساعة أولحظة أومدة من الفرح والسعادة يعتبرها بمثابة قطعة ثلج على صدره.[2] "بعض الوقت"، أثلج صدر العربي، وأدفأ صدر الغربي، خياران ثقافيان يسيطران على مسألة

التأويل المحتمل للحجاج ببنية تصورية عميقة تجعل من النسق الفكري فكرا حجاجيا يؤول السياق اللغوي حسب طبيعة التجربة ونوعها والمحيط الذي أنتجته.

تثبت هذه الحجج في التعبير عن الطبيعة الثقافية للجوأن بناء النسق الحجاجي هونسق تفرضه الثقافة المشتركة، ويبين أيضا أن المسافة بين إدراك العالم وبين التعبير عنه هي مسافة تتوسطها عمليات ذهنية وتخطيط معرفي دقيق وعميق جدا؛ بمعنى أن مسألة الحجاج هي عملية ذهنية قبل أن تكون لغوية.

الملاحظ أن هذه السياقات ليست قائمة شاملة لرصد سلوك الحجاج، إلا أنها تحتوي على أغلب العناصر العامة التي يقتضيها المستوى التصوري العام، فالحجاج في اللغة ليس كافيا لرصد السلوك النسقي له؛ لوجود آليات تصورية مختلفة لكل واحد منا[3]، وما يثير الانتباه أن كلّ تصور هوفي الأصل جانب من ذهنية خاصة تقودنا نحوبناء نسق معرفي يتوقف على قدرتنا على استخلاص بنية المستوى العام للنسق اللغوي، فقدرتنا على تصميم دقيق للغة هوالذي يساعدنا على تذويب المسافة التواصلية ووضع حجج تقرب، شيئا ما، من المقصود والمبتغى.

إن الإحاطة بهذه الجوانب لا يحدد طريقة اشتغال الحجاج في الذهن البشري فقط، بل هي تداعيات تقودنا نحوفهم جيّد للعالم، بل إنها تداعيات تعيدنا نحوضرورة إعادة النظر في الطرق التي نتمثل من خلالها مقولاتنا، فنحن كائنات دائمة التفكير في ما يحيط بنا، نفكر في طرق تشكل مقولاتنا وطرق إنتاجها، إلا أننا لا نوفق دائما في قول كل شيء، وعدم توفيقنا هذا يعد عجزا في حدّ ذاته، والعجز في قول كل ما نفكر فيه هوفي حدّ ذاته بيانا أن لسنا كائنات تواصلية، بل التواصل جزء من منظومتنا اللغوية وليس الذهنية، لأن ما يبقى في الذهن أكبر بكثير مما ننجزه باللغة. وما يثبت ذلك قولنا:

1-أقدم لك هدية أقول من خلالها كل شيء

2-تعبر الهدية على كل ما أحس به

3-لغتي عاجزة على وصف إحساسي تجاهك

4-لا يمكن أن أصف لك شعوري

5-اللغة عاجزة أمام وصف هول الكارثة

تقدم هذه التراكيب نموذجا أمام عجزنا اللغوي في التواصل بكل ما نريد أن نخبر عنه، نحن في كل الأحول عاجزون على أن نطاوع اللغة حتى نتمكن من خلالها من نقل ما يخالجنا من أحاسيس إلى العالم، نحن عاجزون على افتكاك شفرات اللغة بكل تفاصيلها حتى نتمكن من نسج

علاقات تواصلية ناجحة تغنى عن طرح السؤال ماذا تعني؟ أوماذا تقصد؟ أوهذا فقط ما تشعر به؟ غالبا ما نصدم بهذه التعبير أوالأسئلة ولا ننتبه إليها بشكل كبير لأنها تمرّ علينا هكذا، لكنها تحمل بين طيات الإجابة عنها الكثير من العجز في ربط علاقة تواصلية فعالة وناجحة. أن تكون اللغة عاجزة هذا يعني أن ما يبقى في الذهن أكبر بكثير مما يتم التصريح به، مما يثبت أن لغة تعبير عن عجز أكثر ما تعبر عن قوة. بناء عليه فالقوة الحجاجية داخل نسق هذه التراكيب يبقى جزء كبير منه داخل الذهن ولا تتمكن اللغة من ترجمته بشكل كاف، أن تعبر بالهدية عن أحاسيسك دليل على أنك لم تجد في مدونات اللغة ما يكفي للتعبير عن حبك.

2- من الحجاج اللغوي إلى الحجاج الذهني

إن المشروع الذي قدمه كل من بيرلمان (Pirlman) وكرايز(Grize) وتولين (Tolmin)، وربول (Reboule) وروبريو(Robrieux) وغيرهم . ينبني على تأكيدهم أن الحجاج لا يوجد إلا في اللغة، وهومشروع يحصر البناء الحجاجي من منطلق يماثل التصور البنيوي للغة في كون الحجاج ينطلق من اللغة وإليها، كما هوالأمر بالنسبة للغة عند البنيويين الذين يعتبرون بنيتها منها وإليها. إلا أن النظرية الأكثر حضورا وتطورا في مجال اللغة هي التي قدمها ديكرو(Ducrot) وأنسكومبر (Anscombre) اللذان حاولا أن يعيدا النظر في الحجاج من خلال إعادة النظر في الكثير من المفاهيم المؤسسة للأمر من قبيل: الصورة الخطابية (Ethos)، تعدد الأصوات (Polyphonie).

عندما نتحدث عن الحجاج اللغوي فإن من بين المفاهيم التي أسست له هوما عرف بالسّلم الحجاجي (Echelle Argumentative)، وقد قدّم فيه الأستاذ أبوبكر العزاوي تصورا علميا نقل من خلاله الحجاج من التحقق اللغوي إلى الحديث عن المراتب الحجة بالنظر إلى قوتها الحجاجية[4]، وهوعندما يوظف مفهوم القوة فهذا يعني أنه يميل إلى بناء سلم حجاجي بالنظر إلى أن موقع الحجة الأقوى يكون في أعلى السلّم وأن الحجة الأقل قوة تتموقع في الأسفل وهكذا دواليك [5]. وقد قدم أبوبكر العزاوي في كتابه (اللغة والحجاج) التراكيب التالية للاستدلال على ذلك:

7- حصل زيد على الشهادة الثانوية

8- حصل زيد على شهادة الإجازة

9- حصل زيد على شهادة الدكتوراه

وضح أبوبكر العزاوي أن هذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، إذ ما يميزها أنها أيضا تنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة هي "كفاءة زيد

العلمية".ولكن القول الأخير هوالذي سيرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وحصول زيد على الدكتوراه هوبالتالي أقوى دليلا على مقدرة زيد وعلى مكانته العلمية، وبالتالي فإن تراتبية الحجج في علاقة ذلك بالكفاءة العلمية سينحوالمنحى التالي:

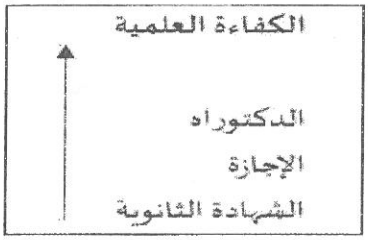

غالبا ما كان الدكتور أبي بكر العزاوي يصنف الحجة المضمرة (الكفاءة العلمية) ضمن الحجج الأكثر قوة ضمن السلم الحجاجي، مؤكدا في الوقت نفسه أنه حيثما يوجد التواصل يوجد الحجاج، وحيث يوجد الحجاج يوجد الإقناع، ولا يمكن أن يكون الإقناع إلا بسلمية تراعي مسألة القوة والضعف، فكلما كانت الحجة أقوى إلا وتموقعت في أعلى السلم الحجاجي، والعكس صحيح أيضا.

وإذا أعتبرنا أن الحجاج ليس عبارة عن قناعة ثابتة ولا حقيقة مفروضة، فهي عملية تتوقف على التوافق وليس القطيعة، بل هي فرضية مناهضة لما هومقرر سلفا لكونها تميل إلى بناء قناعة متوافق عليها، فإن أي توافق لغوي هوفي الأصل توافق ذهني في التخطيط والتصميم والهندسة، فاللغة ما هي إلا واجهة لفضاء لغوي كبير مفكر فيه، لذلك يبقى المهم بالنسبة لنا ليس نقد الحجاج اللغوي من جانب النقد فقط، ولكن الأهم هوأن نعيد قراءته وفق آليات جديدة نتجاوز من خلالها التحقق اللغوي للحجة لنستهدف من خلالها الذهن، ونطرح السؤال البسيط كيف يبنى السلم الحجاجي ذهنيا؟

يقود منذ مدة مجموعة من اللسانيين المعرفين (جاكندوف ؛ أيفانس ؛ لانكاكير ...) توجها يدافعون من خلاله على مركزية الدلالة في التحليل اللغوي، وهي المركزية التي نجد لها أصولا ضمن منطلقات الدلالة المعرفية التي تؤكد أن ما ننتجه باللغة ما هوإلا واجهة لمنطلقات هي في الأصل ذهنية، ونحن إذ نؤكد أن ما ننتجه من حجج لا يستقيم مع ما نفترضه في كون الحجة هي بناء ذهني وتصميم معرفي يجمع بين الإدراك والتصور. وإذ نؤكد على ذلك من منطلق ما تقوله الأدبيات المعرفية في ذلك، فإننا نعيد قراءة الحجاج من زاوية أخرى، ربما مغايرة لكنها في جوانب كثيرة مختلفة عن التصورات التقليدية التي ظلت تناقش الحجاج من منطلقه اللغوي المنجز فقط، فبناء السلم الحجاجي كما هومؤشر عليه سلفا يقتضي بناء ذهنيا يستجيب للغاية الكبرى

التي نبتغي الوصول إليها، فترتيبنا للحجج من الدكتوراه نحوالشهادة الجامعية هوترتيب ذهني يقود إلى نتيجة مفادها الكفاءة العلمية لزيد، ومن أجل بلورة ذلك اشتغلت آليات الإدراك والتمثل والتصور، إذ نفترض وفق ذلك أن ذهننا مبنين بطريقة نسقية تدفعه نحوتنظيم محمكم للمعطيات اللغوية قبل تحققها في شكل تركيب .

فالحجاج لا يكمن فقط في اللغة ولكن موطنه الأم هوالذهن بكل ما للذهن من معنى. وعليه فلا يمكن أن نسلّم أن قوة الحجة موجودة في اللغة فقط ولكن قوتها في التخطيط الذي يدفعنا لبرمجتها بتلك الطريقة؛ بمعنى أن قوة الحجة هي ذهنية قبل أن تكون لغوية. وما يزيد من تأكيد هذا الطرح أنك تراعي في قولها شروط المخاطب، وقدراته العقلية، والفكرية، والسياق الذي يجمع بينكما، فأكثر الناس إقناعا هم أكثر الناس تحكما في لغتهم، وأكثر الناس تحكما في اللغة هم أكثر الناس نسجا لنسقهم التخاطبي وفق ما تقتضيه المعرفة بأدبيات الحوار، لذلك فإن امتلاك نسق اللغة هوامتلاك ذهني محض.

عندما نتأمل السّلم الحجاجي كما ورد عند أبي بكر العزاوي فإنه بإمكاننا أن نعيد قراءته وفق آليات معرفية جديدة، بالنظر أنه سلم لا يمكن أن يبنى إلا عبر برمجة لغوية وتخطيط معرفي ينطلق من الذهن نحواللغة، فحديثنا عن الحجة الأقوى هوفي الأصل تخطيط ذهني في كون تلك الحجة هي الأقوى؛ لأنك لا تخلط في تصميم حججك بين الضعيف والأقوى إلا إذا اختلت السّلامة العقلية في ذلك.

لكن من المهم أن نضيف على ذلك أن ما نعتبره قوة في السلم الحجاجي لا يمكن أن يقتصر على لغة تواصل فقط، بل إن جعل الحجة في هرم السلم الحجاجي يعود بالأساس إلى مسألة ترتبط بعملية تشاركية تجمع بين التمثل الذهني للحجة والتمثل اللغوي الذي تتمظهر صوره في الخطاب أوالتواصل، على اعتبار أن عملية المزاوجة هنا لا تقف عند حدود المحتوى الدلالي للقول، بل إن الأمر يتجاوزه لأن الذي يقف عند حدود الربط الممكن بين التمثلات اللغوية والتمثلات الذهنية لا يؤسس للدلالة، بمعنى لن يكون قادرا على وسم التمثل الأصلي إلا إذا تم اختراق ذلك بطرق الحدس التي تنقلنا مباشرة إلى التمثل النهائي، لأن كل تمثل نهائي للحجة هوالتمثل الأقوى الذي من الممكن أن يدرج كحجة أقوى في السّلم الحجاجي.

إن الإدراك العميق للحجاج لا يتوقف عند حدود ما هومقدم في اللغة والخطاب، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى مستوى يقتضي معه الأمر فهما تصوريا ومعرفيا يقودنا إلى اعتبار مفهوم

الحجة في الإشهار مثلا عنصرا تصوريا يدفع نحوتأصيل جوهري كبير حاول من خلاله أن يفصل بين الظواهر اللغوية والظواهر المنطقية[6].

فالحجة في النهاية ليست سوى الطريقة التي من خلالها نقدم الدليل على ما نحن نسعى إلى إقناع الآخر به، على اعتبار أنه على قدر وجود سلمية في الحجاج تمت سلمية في الإقناع، وكلّما كان تمثلنا للحجة بشكل جيد كلّما كان عرضنا لها متوافقا مع العلاقة التي تربط بين تعبيرنا اللغوي وتمثلاتنا الذهنية للحجة.

3- نحو بناء نظرية حجاجية معرفية

قد نفهم أن الحجاج في اللغة يرتبط بإسقاطات خطابية تراعي المتكلم والمخاطب والسياق، وقد نتفهم أيضا أن بناء قوة حجاجية يجب أن تنسجم مع هرم السلم الحجاجي، بمعنى أن القوة المضمرة هي الأكثر قوة وتموقعا في السلم الحجاجي، لكن من المهم أيضا أن نتساءل بشيء من الحيطة والحذر حول نقطة مفادها إذا كانت قوة حججنا تكمن فيما نضمر أكثر مما نصرح، فكيف لنا أن نحكم على أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل؟ بمعنى أذا كنا نضمر أكثر ما نفصح فكيف لنا أن نوازي بين قولنا أن ما نفكر فيه هونفسه ما يتحقق في فعل التواصل وفعل الحجاج.

سيكون من غير المعقول أن نحكم على الوظيفة الأساسية للغة بكونها وظيفة تواصلية في الوقت الذي لا نتواصل فيه، وحتى عندما نحقق فعل التواصل فإننا لا نصرح بكل شيء بمعنى أن ما نفكر فيه لا يتوازى مع المنطوق، فكثير من اللغة يمكث داخلنا ولا نتمكن من إخراجه بالصورة التي يجب أن يكون عليها، وهذا شرط كاف لكي نؤكد أن الوظيفة الأساسية للغة ليست هي التواصل "فقط"، بل هي القدرة على التعبير عن الفكر، وما يثبت ذلك هوأنه عوض أن نتجه بالدراسة نحواللغة ومنجز اللغة، يجب في الوقت نفسه أن نوجه الدراسة نحومختبر جديد للتجربة تضطلع به اللسانيات المعرفية من خلال البحث في طرق بناء الذاكرة والوعي والتمثل والإدراك، بمعنى أن نعيد طرح الأسئلة الجوهرية التي تمكننا من معرفة طرق بناء الحجاج في الذهن البشري، كيف نفكر؟ كيف نتمثل العالم؟

تقوم الفكرة المحورية للسانيات المعرفية على مسألة البحث في معاني التعابير اللغوية وغيرها من الأفعال التواصلية باعتبارها كيانات ذهنية، وهذا كفيل بأن يوجه الدراسة اللغوية للحجاج من فضاء اللغة إلى فضاء الذهن، على اعتبار أنه كلّما زاد يقيننا أننا نتكلم من منطلق إسقاطات لغوية تربط بين ما ندركه وما نتمكن من التعبير عنه، فغالبا ما نجد صعوبة في المواءمة

بين العالمين لأسباب يعرفها الجميع، أهمهما أننا غالبا ما نصطدم بالفهم والقصدية، بمعنى أنه حتى ونحن ننجز اللغة لا نتمكن في جميع الأحوال من قول كل الشيء، فلغتنا تعبير عن عجز وليست تعبيرا عن قوة.

نساير في هذا الاتجاه ما جاء به "جاكندوف" (1983)، إذ يؤكد أنه لدينا كل إمكانيات الوصول إلى درجة الوعي بالعالم المتوقع أوالمسقط، إذ يمكننا أن نتحدث عن أشياء كثيرة بتوظيف عمليات التمثيل العقلي المنظم. هوالتمثل الذي يدخل الحجاج نحومجال نتصوره فيه كمنظومة هندسية لا تقوم إلا على خطط وآليات وطرائق تكون اللغة وسيلة لذلك لا غاية، لذلك نؤاخذ كثيرا الدراسات التي ركزت بشكل كبير على دراسة الحجاج من منطلق المنجز اللغوي وتجاهلت بصورة أوبأخرى دور الذهن في تكوين القوى الحجاجية الأكثر تأثيرا، فالإقناع ليس أمرا سهلا، ولا يمكن أن نتصوره بتلك الصورة، لكي تكون مقنعا يجب أن ترسم خارطة طريق واضحة في ذهنك أمام هذا الهدف، يجب أن توظف في ذلك آليات تجمع بين سلطة اللغة وسلطة الفكر.

إنجاز فعل حجاجي متضمن في القول هوسلوك معطى، فنقل المعلومة عملية حسابية ترتبط بدراسة حالة المخاطب، وظروف تلقيه للقول، والشروط المفروضة على ذلك، لكن رغم كل هذا لا يكفي أن تكون علاقتنا التواصلية مؤسسة على غرض التأثير فقط، بل يجب أن يكون الأمر مبنيا على ضرورة الكشف عن القصد من وراء ذلك القول، وبما أن القصد يكاد يكون معطلا في كثير من الأحيان لأسباب مرتبطة بعدم القراءة الجيدة للسياق أوالمخاطب، فإن بناء سياق حجاجي لا بد وأن تراعى فيه هذه الخصائص لسبب بسيط كوننا عندما نعود إلى السياق فإننا نحاول أن نبرز أنه لا تتمظهر قوته إلا من خلال خطاطة معرفية ترصد كل الجوانب المتدخلة فيه، ولنا أن نستحضر السياق الحجاجي في المجال السياسي، ولكم أن تتخيلوا حجم الدراسة التي تنجز من قبل السياسيين من أجل توفير خطاب إقناعي يلائمهم ويؤثر فيهم، ولكم أن تتصوروا حجم التخطيط الحجاجي الذي يوفره مرشحان سياسيان في مناظرة تلفزيونية من أجل إقناع أكبر فئة من الناس، يمكن أن نفترض أنه من أجل أن يكون الخطاب مقنعا يجب أن تهندس للغة حجاجية مؤثرة تراعي فيها كل الجوانب المتدخلة في ذلك. ولا يمكن أن يكون الخطاب الحجاجي خطابا عفويا، بل هو مسار ذهني تتأسس معالمه على مبدأ الإدراك، والإدراك هنا هوأن تتمثل الخطاب بشكل تراعي فيه كل المداخل المساهمة في بنائه بشكل جيد ومؤثر.

نقول إن أي تواصل لغوي هوتواصل حجاجي، وكل تواصل حجاجي هوسيرورة معرفية تنطلق من الذهن إلى اللغة، بمعنى أن مسار بناء الخطاب الحجاجي تتمظهر قوته التأثيرية من

منطلق التخطيط اللغوي الذي يتجسد وفق عمليات ذهنية تراعي كلّ الجوانب المتدخلة في العملية التواصلية، أي أن اللغة الحجاجية هي وسيط نفهم من خلاله الآليات الذهنية التي يكون مختبرها هوالدماغ.

خاتمة

حاولنا في البحث أن ننقل الحجاج من فضاء اللغة إلى فضاء الذهن، مفترضين أن أي بناء حجاجي هوبناء ذهني، مدافعين عن ذلك ببعض الطروحات كما وردت عند الدكتور أبي بكر العزاوي، خصوصا النقطة المتعلقة بالسلم الحجاجي، ونحن إذ نعي جيدا أن هذا المثال لا يمكن أن يشكل الكل، فإننا حاولنا أن نبرهن من خلاله على فرضيتنا باعتبار ذلك جزءا من المنظومة التواصلية في الحجاج، ونؤكد بذلك أننا لسنا أمام نظرية جديدة أوبديلة، بل هي محاولة لفهم وإعادة فهم الحجاج عبر نقل ميدان الدراسة من اللغة إلى الذهن.

هوامش البحث:

---

[1]- تحدث "لايكوف و جونسون" في مقدمة الاستعارات التي نحيا بها أن التصورات التي تتحكم في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية و حسب، بل تتحكما أيضا في سلوكاتنا اليومية البسيطة ، فتصوراتنا تبنين ما ندركه و تبنين الطريقة التي نتعامل بواسطتها مع العالم، و بهذا يلعب نسقنا التصوري دورا مركزيا في تحديد حقائقنا اليومية،فإذا صح أن نسقنا التصوري في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية ، فأنه يرتبط بشكل كبير بالاستعارة.

[2]- عبد الكبير الحسني(2015): **البنيات الدلالية للزمن في اللغة العربية: من اللغة إلى الذهن**، ص 241.

[3]-لايكوف و جونسون (80) ، **الاستعارات التي نحيا بها**، ط،2، ص، 23

[4]- قاد الدكتور أبو بكر العزاوي ثورة علمية لم ينتبه إليها الكثير من الباحثين؛ إذ قاد تطويرا نظريا دفع نحو تخليص الاستعارة العربية من طابعها البلاغي.و تلتحق بصفوف الحجاج، الشيء الذي مكّنه من انتقال من الحجاج اللغوي إلى الحجاج في الخطاب من خلال تبني نظرية عربية أصيلة حدّدها ب التحليل الحجاجي للخطاب (Argument analyse of speech)، و هي النظرية التي نجد لها صدى في كتابه الخطاب و الحجاج؛ إذ بناها على مجموعة من المفاهيم من قبيل البرنامج الحجاجي و الإستراتيجية الحجاجية و تعالق الروابط الحجاجية و الانسجام الحجاجي التداولي. و هي النظريات التي طبقها الرجل على مجموعة من النصوص من قرآن و شعر و الأمثال، و هذا مألوف معروف، إلا أن الأمر له أبعادا أخرى تجعلنا نؤكد أن ما قدّم من إثباتات معرفية و نظرية هي التي دفعت إلى تأكيد حضور الحجاج باعتباره أولوية دلالية تبحث في المعنى، و أولوية تداولية تبحث في المقصود والقصدية و القوة الإنجازية والاستعارة.

[5]- للاضطلاع أكثر حول الموضوع يرجى العودة إلى كتاب أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، دار العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

[6]- هو بعد نجد له صدى في الدلالة المعرفية التي كان الرجل ملما بها منذ الثمانينيات من القرن الماضي و سباقا إلى تدريسها بالجامعات المغربية، و أكبر دليل على ذلك محاضراته التي نملك نسخا منها ، فهو واحد من الأوائل الذين درسونا معطياتها من خلال نظريات روش حول مفهوم الدرجة و دوره في بناء الحقول الدلالية، و نظرية الفضاءات الذهنية كما طرحت عند فكوني من خلال تأكيده أن البساطة التي ننتج بها لغاتنا لا يوازيها حجم التعقيد الذي يكون على مستوى الذهن، ثم تعرفنا على نظريات الأطر و دورها في بناء و تنظيم الفكر، كما تعرفنا على طرق بناء المعنى بمختلف مقارباته من علاقاته بالمرجع والإحالة و الاستعمال و الماهية و الماصدق ...